لالش

من الأماكن الأثرية القديمة في منطقة الشيخان معبد مقدس لدى أهل المنطقة يسمى بـ «لالش» . يقع في مضيق بين جبال ثلاثة عليها أشجار باسقة ، جبل (عەرەفات) من الشمال وجبل (مشەت) من الجنوب وجبل (حزرەت) من الغرب ، يبعد عن عين سفني مركز قضاء الشيخان حوالي (١٠) كيلو مترات على يسار الطريق المؤدي الى ناحية المزوري (أتروش) .

عند الولوج الى هذا الوادي المقدس نجد في بدايته قنطرة صغيرة على ساقية ماء تسمى (پراصه راطى) أي جسر الصراط وفي داخل الوادي المقدس من جهة الجنوب بناية عليها قبة صغيرة وتقيم على بركة ماء تنبع من تحت جبل (مشەت) تسمى (كانيا سبي) محل تعميد اليزيدية ويجري الماء من هذه البركة الى حوضين يستخدم ماؤهما للشرب وأمام الـ (كانيا سپي) ساحة صغيرة وهي جلسة (أيزدين أمير) وخلفها يوجد مقام بارز عليه قبة مخروطية مضلعة وهو مقام الشيخ شمس ، وفي أسفل جبل عرفات هناك المعبد الرئيسي القائم على بركة ماء تسمى (زمزم)[1] وأمام المعبد ساحة كبيرة فيها غرف صغيرة تستخدم كدكاكين في أيام الأعياد ، ومن هذه الساحة (السوق) تدخل الى داخل المعبد عن طريق باب كبير يسمى (دەرێ مير) ثم ساحة صغيرة تسمى (جفاتاشيخ فەخر) ثم ساحة أخرى تسمى (جفاتا شيخ ئادى) فيها بركة ماء تسمى (حەودا كەلوكى) ومن هذه الساحة تدخل الى الباب الرئيسي للمعبد تسمى (قاپى) فعند الدخول من هذا البابّ نجد وعلى اليمين بركة ماء تسمى (بيرا ناسردين) وفي الجهة اليسرى من المدخل قبر يعود الى الشيخ أدي الثاني بن الشيخ أبو البركات وفي غرفة صغيرة داخل المعبد قبر الشيخ أدي بن مسافر والذي يقع خلف (ديوانا بەرى شبايكى) من جهة الشمال . وأمام هذه الغرفة قبر أخر يعود الى الشيخ أبو البركات وفوق كل قبر من هذه القبور الثلاثة قبة مخروطية مضلعة . وفي داخل المعبد من جهة الشرق توجد غرفة واسعة تسمى (جلەخانه) وهي مخصصة لرجال الدين الذين يصومون الأربعينية ، وتوجد فسحة داخلية للمعبد تسمى (هندرو) . وينتهي المعبد من جهة الشرق بباب يؤدي الى قاعة كبيرة تسمى (رواقا شەر فەدين) والتي تؤدي الى فناء واسع يسمى (بانى فه قيرا) حيث محل سكنى سادن مقام الشيخ أدي . وهناك باب صغير (في الغرفة التي فيها قبر الشيخ أبو البركات) يؤدي الى (زمزم) ومنه الى ممر ضيق يؤدي الى محل يسمى (گاي كوژ) من جهة الجنوب وفي داخل المعبد وعند أجتياز الباب الخارجي (ده ربى مير) ونحو اليمين ممر يؤدي الى (بانى فه قيرا) .

وتنتشر في هذا الوادي المقدس وعلى سفوح الجبال المحيطة به مباني كثيرة وهي مقامات أولياء اليزيدية ومراقدهم ويتخذ الناس من هذه المباني محلات لأستقرارهم في الأعياد والمناسبات الدينية في «لالش» .

أن «لالش» محل حج اليزيدية ومن أقدس الأماكن لديهم حيث يحرم فيه القتل والنهب والفسق والفساد ولا يجوز فيه الصيد وقطع الأشجار . وتعتقد اليزيدية بأن الله جل جلاله عندما كان سائراً بمركبته هو وملائكته في البحار (في بدء التكوين) ، أستقر في لالش وقال (هذه هي الدار حقاً) وأمر بأن تكون (كانياسبي) قبلة للأولياء الصالحين . أنظر النص الأتي من (قەولى زەبوونى مەكسوور) .

بەدشێ من لمەركەبێ دبووسواره
بەدشايه وهەرهەفت ياره
تيك دسەيرين لچار كناره
لالا لشي سەكنى گوت : «ئەفەحەق واره»

* * *

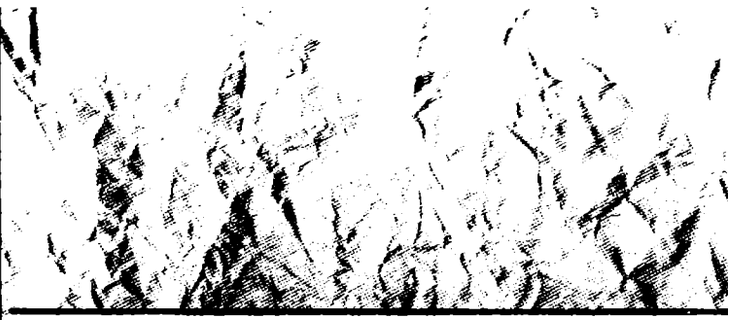

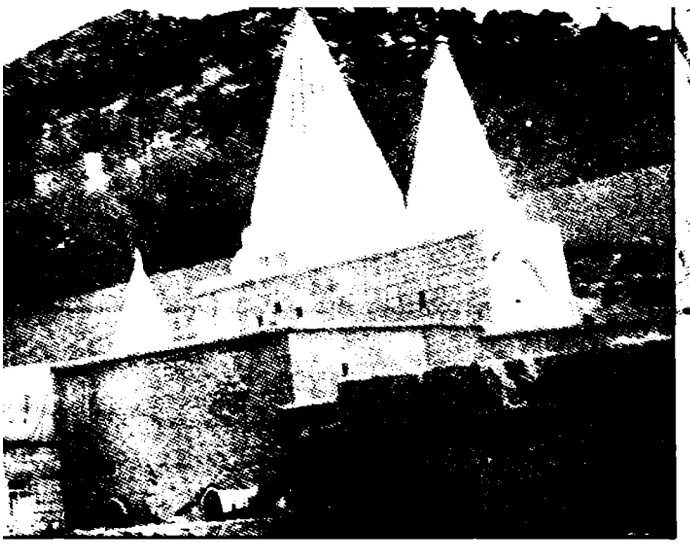

يەرى نەعەرد هەبوو نەعە سمانە
نەبەحر هەبوو نە بنيانە
نە چياهە بوو نە سكانە

* * *

رى هەبوو مەعريفەتە
ئيمان هەبوو تەريقەتە
ئەوێ رۆژێ كانياسپى بوميرا كربوو قيبلەتە

* * *

الترجمة :

سار إلهي بالمركبة
هو وملائكته السبعة
وطافوا الجهات الأربع
ووقف في لالش وقال : «هذه هي الدار حقاً»

* * *

كان الأيمان بهذه الصفة :
قبل خلق الأرض والسماء
قبل البحار والبراري
وقبل الجبال وتثبيتها

* * * *

كانت هناك «المعرفة»
وهي طريق الأيمان
في ذلك اليوم جعل الله (كانياسپي) قبلة الأولياء

* * *

وتجرى في (لالش) أعياد ومراسيم خاصة وهي عيد أربعينية الصيف والشتاء (جەژنا جلەى) وعيد التجمع (جەژناجه مالى) وعيد الحج (القربان) (جەژناحه جيا) وعيد ليلة البركات (جەژ ناشەف بەراتى) . ومن المراسيم التي تجرى في هذه الأعياد هي : «قەتناره) و (سەما) و (بەرى شبايكى) و(قەباغ) . . الخ .

لقد جاء ذكر (لالش) في أبحاث ومقالات الكثير من الباحثين والكتاب ووصفوا الأعياد والمراسيم التي تقام فيه إلا أنه تضاربت الأراء حول أصله . . ولكن يتفق معظم الباحثين بأن منطقة لالش وهكار كانت مسكونة منّ قبل أقوام عديدة التجأت اليها في مراحل تأريخية مختلفة حيث قصدها الفارون وطالبوا الأمان والسلامة منذ أزمان طويلة ، فسكنها جماعات أشورية بعد سقوط نينوى عام ٦١٢ ق . م وظلت تمارس عباداتها الى أن لحقت بها جماعات مثرائية بعد سقوط مدينة الحضر (Hatra) في أواسط القرن الثالث الميلادي . وهاجرت اليها جماعات زردەشتية من منطقة (أيزد) في بلاد فارس أثناء الفتوحات الأسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فأمتزجت هذه الجماعات مع بعضها بمرور الزمن وأطلق عليها الجماعات الشمسية (الشمسانية)[٢] . لذا أصبح لالش مركزاً دينياً مقدساً لهذه الجماعات وأستمرت بممارسة عباداتها فيه .

أما عن هذا المعبد فهناك رواية تقول : «أنه كان ديراً أسسه الراهبان مار يوحنا ومار أيشوع صبران في القرن السابع الميلادي حيث يقول الراهب راميشوع في مخطوطته التي كتبها باللغة الأرامية في حدود سنة ٨٥٥ هـ – ١٤٥٢ م يقول :

(أن مرقد الشيخ عدي الحالي كان ديراً أسسه الراهبان مار يوحنا وأيشوع صبران في القرن السابع الميلادي وكان يسكن هذا الدير رهبان عديدون وكان الرهبان قد عهدوا الى أهل عدي بن مسافر الكردي رعاية أغنام الدير لأن عدياً كان صغير السن فلما ترعرع تزوج من فتاة شهيرة رفعت مقامه لدى رئيس الدير حتى ولاه شؤون الدير ورعاية أغنامه . . وكانت عادة رهبان الدير المذكور أن يذهبوا في كل سنة لحج المقدس (أورشليم) فتبقى أدارة شؤون الدير بيد عدي بدون مناوئ . . وفي سنة ٦١٦ هـ – ١٢١٩ م أختلف رئيس الدير مع عدي بن مسافر الكردي . . فاكان الرهبان ورئيسهم يقصدون المقدس – على جاري عادتهم – حتى أغار عدي ومن معه من الأشياع على الدير فقتلوا من فيه

وجعلوه مقرهم ، فلما عاد الرئيس حاول أن يسترجع ديره بالحسنى فأخفق فذهب تواً الى قائد المغول في فارس متضرعاً اليه أن يعيد اليه ديره فوعده خيراً وفي عام ٦١٩ هـ - ١٢٢٢ م كان المغول يقاتلون في أربل فقبض قائدهم على عدي بن مسافر الكردي وأرسله الى السلطان الأعظم في (مراغة) . . فما كان من السلطان إلا أن أصدر بحقه حكم الموت فقتل . . . وفي أيام تكوادور خان عاد أصحاب عدي فأسترجعوا الدير وبقي في إيديهم الى اليوم)[٣] .

أود أن أذكر بعض المغالطات التي وقع فيها صاحب المخطوطة : -

١ - قال الراهب راميشوع : (وفي سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م) أختلف رئيس الدير مع عدي بن مسافر الكردي) . ولكن جاء في كتب التأريخ أن الشيخ أدي (عدي) بن مسافر توفي ودفن في لالش حوالي سنة (٥٥٧ هـ - ١١٦١ م) .

٢ - وجاء في المخطوطة أيضاً : (أن الرهبان قد عهدوا الى أهل عدي بن مسافر الكردي رعاية أغنام الدير لأن عدياً كان صغير السن فلما ترعرع تزوج من فتاة شهيرة رفعت مقامه لدى رئيس الدير) . ولكن وكما هو معروف في التأريخ اليزيدي وفي كتب التأريخ بأن الشيخ أدي (عدي بن مسافر) عندما جاء من الشام وسكن لالش كان مسناً وتوفي أعزباً لم يتزوج .

لذا لا يمكن أن يكون الشيخ عدي المذكور في مخطوطة راميشوع هو الشيخ أدي (عدي) بن مسافر الذي نعرفه ، ولربما يكون الشيخ أدي الثاني بن الشيخ أبو البركات والملقب بالكردي ولكن هل يعقل أن الشيخ أدي (عدي) الثاني الذي هو من عائلة أجتماعية ودينية عريقة ومن أولياء الأيزيدية يصبح راعياً لأغنام الدير هو أو أهله ؟ ! . وعلى كل حال اذا كان الراهب راميشوع يقصد في مخطوطته الشيخ أدي بن مسافر فهذا وهم كما بينا ، وأذا كان المقصود هو الشيخ أدي الثاني فهذا لا يعني أن معبد لالش كان ديراً لأنه : سكن في هذا المعبد أولياء اليزيدية قبل الشيخ أدي الثاني بل قبل الشيخ أدي بن مسافر أيضاً حيث كان (أيزدين أمير) والد كل من الشيخ شمس والشيخ فخر وناسردين وسجادين أميراً في لالش قبل مجيء الشيخ أدي بن مسافر اليه وكان من أهم المراكز الدينية وأقدسها لدى الأيزيدية قبل الميلاد .

أما السيد جورج حبيب فأنه يستبعد كون معبد لالش كان ديراً حيث يقول : - (غير أننا لو رجعنا الى المصادر المسيحية الموثوقة لوجدنا ما يناقض هذا الأدعاء (أي كون لالش كان ديراً) ، والواقع أن معظم الباحثين يرفض هذا القول)[٤] . ويأتي بأدلة تأريخية وأثرية عديدة بأن هذا المعبد لم يكن ديراً وإنما كان معبداً مثرائياً (شمسياً) .

وأخيراً نحن نعلم بأن هذا المعبد قد وقع بأيدي المسلمين والمسيحيين مرات عديدة نتيجة للأضطهادات الدينية وفي أزمنة مختلفة فلربما أخرج من أيدي اليزيدية بعد وفاة الشيخ أدي بن مسافر من قبل المسيحيين وأتخذوه ديراً لهم ثم أسترجعه الشيخ أدي الثاني الذي كان يسكن قرية (بوزان) كما معروف لدى أهل المنطقة . كما أستولى المسلمون على هذا المعبد مرات عديدة وأخرها سنة ١٨٨٢ م من قبل الفريق وهبى باشا وجعله مدرسة دينية أسلامية من ١٨٩٣م الى سنة ١٩٠٥م
وعين الشيخ أمين أفندي القرەداغي مدرساً فيه . لذا فلا نستغرب إذا وجدنا كتابات أو رموز أسلامية أو مسيحية في هذا المعبد حيث أن تأريخ هذه الكتابات والمظاهر غير الأيزيدية الموجودة في لالش يعود الى أيام الأضطهادات عند أخراج لالش من أيدي اليزيدية .

الهوامش :

* لالش : جاءت كلمة لالش من مقطعين (لال) بمعنى الأخرس و (هش) بمعنى الوعي أو الشعور . لذا فأن لالش = الأخرس الواعي . وقد سمعنا من بعض الرجال المسنين في المنطقة : بأن الأنسان في لالش يجب عليه أن يكون واعياً كثير التفكير بقدرات ربه وقليل الكلام عن الدنيا وملذاتها بل عدم التفكير بها .

١ - تسمى بعض الأماكن في لالش بأسماء أماكن موجودة في المكة المكرمة مثل زمزم وعرفات . . الخ ، وذلك تمجيداً لسيد الأنبياء أبراهيم الخليل وأبنه أسماعيل عليهما السلام .

٢ - اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم - د. سامي سعيد الأحمد ص ٣٦ . ٣٩

٣ - اليزيديون في حاضرهم وماضيهم - السيد عبدالرزاق الحسني ص ٢٩

٤ - اليزيدية بقايا دين قديم - السيد جورج حبيب ص ٤٨ .